

الشعوب ، ويرقب نفوذ العربية إلى المناطق التي عصيت من قبل على الغزو اللغوي للفرس واليونان والرومان ، وقف حملة القرآن يشفقون على لغته من هذه المخالطة المباشرة ، ويرهفون سمعهم لالتقاط ما لم يكن منه بد ، من شوائب العجمة وعثرات اللحن .

وانجهدت الجهود ، لحماية لغة الإسلام ديناً ودولة ، إلى جمع تراث الفصحى الأصيل وتدوينه ، وعكف عليه العلماء ، من القرن الثاني للهجرة ، يستخلصون منه للفصحى معجم ألفاظها ، ويستنبطون بالاستقراء والقياس ، قواعد نحوها وتصرفها واشتقاقها ، وخصائص أساليبها في التعبير والبيان (١) .

وكانت علوم العربية صعبة حتى على أهلها .

وعلى مرّ القرون ، تضخم رصيدها من القواعد والمذاهب والمتون والشروح ، وصار الفقه بها أمراً عسيراً لا يُدرك إلا بالدراسة المتخصصة الطويلة ، والجهد المضي .

وكانت العاميات إلى جانبها ، تقوم بحاجات الحياة اليومية ، فتغني العامة عن طلب علوم الفصحى ، وهي العلوم التي وضعت أساساً لخدمة القرآن ، وفهمه بها .

من هنا ، كانت الدراية بهذه العلوم لغة وبيانا ، من أول ما اشترطه علماؤنا في المفسر .

---

١ تفصيل هذا ، في كتابي ( لغتنا والحياة ) : العربية في أقطارها الجديدة ، ص ٥٣ : ٨٣ أط  
معهد الدراسات العربية ١٩٦٩ .